

شَخْصِيَّةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ (ع)

قِرَاءَةٌ فِي الْمَعَامِلِ وَالْمَوَاقِفِ

مُحَاضَرَةُ الْقَيْتِ فِي قَاعَةِ الْأَسْتَعْبَاطِ هَوَّلَ فِي الْجَامِعَةِ الْأَمِيرِكِيَّةِ بِيئَرْت
بِتَاغِيغ: ٢٢ قَانُونِ أَوَّلِ ١٩٩٢ م



المركز الإسلامي للدراسات
مكتبة ومطبعة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله
الرقم 6801

١٤٠٢/٢٠٢١

F 146

آية الله السيد محمد حسين فضل الله

شخصية السيد المسيح (ع) قراءة في المعالم والمواقف

محاضرة أُلقيت في قاعة «الأسمبلي هول»
في الجامعة الأميركية بيروت
بتاريخ ٢٢ كانون أول ١٩٩٢ م

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٩٩٣ م - ١٤١٣ هـ

حارة حريك - أوتستراد الحارة - بناية دياب مهدي - الطابق الأول
هاتف: ٨٣٦٥١١ - صرب: ٦٧/٢٤ بيروت - لبنان
قبرص: ت ٥٢٢٢٢٧/٩/٠٠٣٥٧ - فاكس ٢٥٨٤٨/٤٦/٠٠٣٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا هذا الحديث عن شخصية السيّد المسيح (ع) أو عن أية شخصية أخرى تعيش في معنى الروح في وعي الإنسان ؟ هل بقي شيء للروح في عالم المادة، أو أننا نريد أن نفتح من جديد على ينبوع الصافي الذي يعيد إلى العقل صفاءه من حيث يعيد للقلب هدوءه وتوازنه وبالتالي أن يعيد للحياة معناها في ما هو معنى السلام ؟ .

العقدة من الحديث الديني!

ربما يتعقّد بعض الناس من الحديث الديني، أيّ حديث ديني، في الإسلام أو المسيحية أو اليهودية على أساس أن الدين تحوّل - لاسيما في الشرق - إلى مشكلة، فالشرق هو بلد التماس الديني الحار الذي تتحرك حرارته لا من أجل أن تجعل للعقل حرارة الفكر ولكن من أجل أن تعطي للأعصاب حرارتها لتوتر ولتنفعل .

ولذلك قد يفضل بعض الناس أن لا يتحدث الناس عن الدين لاسيما عندما تكون المسألة في جامعة تفتح على العلم بكل مفرداته وبكل عمقه وأجوائه، العلم الحسن الذي لا يستطيع أن يقترب من الدين الغيب. ولكن - أيها الأحبة - قد أسمح لنفسي أن أختلف مع هؤلاء، لأن مسألة الدين ليست هي مسألة الغيب وحده. قد يكون عمق الدين هو الغيب من حيث يختزن في داخله الإيمان بالله ويختزن في داخله الإيمان بالنبوءات. وربما يفاجيء العقل بالحديث عن المعجزات.

ولكننا في الوقت الذي قد ناقش أن تكون مسألة الإيمان بالله في الدين غيباً من الغيب، فالذين يمارسون الفكر الديني يقولون: إن الإيمان يمر من طريق العلم، قد لا يكون مضمون الإيمان علمياً فيما هو الحسن ولكن قاعدة الإيمان تنطلق من حالة الحسن وإلا لو أردنا أن ننفذ إلى الحسن من خلال ما يمكن أن تمسكه فقد نكتشف أن العقل ليس شيئاً حسيّاً وأن الفكر والعاطفة والخيال العلمي ليس شيئاً علمياً.

قصة العلم هي أن تنطلق الفكرة عندك من خلال قاعدة تحسّتها، تعيشها، تشعر أن كيانك جزء منها. وبهذا يمكن أن يتعلمن الدين فيما هي مسألة ارتباطه كحقيقة علمية، ارتباطه بالحياة وبالإنسان كحقيقة علمية.

وهكذا في الأشياء الأخرى حتى النبوءات يحاول المتفلسفون دينياً أن يقولوا لا بدّ من دليل يدلّ على أنّ هذا نبي. كيف هو الدليل،

للفكر أن يناقشه سلباً أو إيجاباً.

ومن هنا فقد نستطيع - أيها الأحبة - أن نضيق هذه الهوة بين ما هو الدين في غيبياته وبين ما هو العلم في حسيّاته فيمكن أن يكون الغيب منطلقاً من حسّ ويمكن أن ينطلق الحسّ لينفتح على الغيب. ونحن نعرف جيداً أن الإنسان ليس منطقة مفتوحة بالكامل للعلم، فهناك الكثير الكثير من المناطق الإنسانية التي قد يحس فيها الإنسان بالغيب المستقبلي في منامه وقد يستوحيه في يقظته. ما هو تفسير ذلك؟، ما هو تفسير أن يفتح وعيك إذا كان هناك شيء اسمه اللاوعي؟ ما تفسير أن يفتح هذا على المستقبل الذي لا قاعدة له، لا في رواسبك ولا في خلفياتك، ربّما يعطيه بعض الناس اسماً وكأنهم بهذا الاسم علمنوه ولكنه يبقى منطقة خفية. كيف التقط الوعي المستقبل الذي هو غيب؟.

وهكذا أن تجلس في نفسك وتفكر بشخص ويأتيك التلفون أو يدق عليك الجرس، ما هي المناسبة بين هذا وذاك يعطونها اسماً ولكنهم لا يعطونها تفسيراً، حتى العواطف التي نعيشها لم نستطع أن نعلنها لأننا لم نستطع أن نحسها في عمقها وإن كانت شعوراً نعيشه في أنفسنا.

لذلك أن نعتبر أن العلم هو الله الإنسان الجديد وليس هناك الله آخر أو ليس هناك عمق آخر، أتصور أنّ هذا يمثل نوعاً من أنواع الإساءة للعلم، لأن العلم يقول لك لا تثبت شيئاً إلّا بدليل ولا تنفي شيئاً إلّا بدليل، أن تنفي من دون أن يكون لك دليل على النفي ذلك أمر غير علمي.

الانفتاح على الدين

لهذا لسنا في هذا الحديث، لكننا نريد من هذه النقطة إلماحة وإشارة إلى أن لا نستهلك الكلمات عن لا علمية الدين أو لا موضوعية الدين، أن نستهلكها بطريقة غير علمية، بل لا بد لنا أن نحاول أن نحرك فكرنا في هذا الاتجاه. تلك منطقة الغيب في الدين، ولكن عندما تنفذ إلى الدين تشعر أنه يضج بالحياة، لأن مسألة الدين حتى في اللون الديني الذي يحاول أن يوحي إليك أنه ليس شيئاً في تفصيلات حركته، ليس شيئاً في السياسة، ليس شيئاً في الحكم حتى في هذا اللون الديني إنك عندما تنفتح على القيم إنك تشعر أنك تتحرك في إنسانيتك مع هذه القيم.

عندما يتحدث الدين عن شيء اسمه الحرية أيّاً كان مفهومه للحرية، وعندما يتحدث عن شيء اسمه المحبة، اسمه الرحمة، اسمه العدالة، اسمه العفة، أي شيء من هذا القبيل، إنه يتحدث عن إنسانك، عن حركة إنسانك، عن حيوية إنسان. ولذلك فإن المسألة عندما تنطلق في هذا الاتجاه عندما نريد أن ننطلق في الحياة من خلال هذه القيم فهناك قيم يسميها الناس قيماً إنسانية ولكن لو درسنا المسألة بطريقة علمية في عمق التاريخ لرأينا أن جذر هذه القيم هو جذر ديني ولكن الإنسان تلقفه وعاشه ومارسه حتى أصبح يمثل رواسته التي ينطلق منها دون وعي ودون شعور.

لذلك هناك نوع من أنواع حركة الدين ، أن نجعله ينطلق إلى الحياة إذا تناقشنا في حركية السياسة في مسألة الدين أو الحياة فإننا لا نتناقش في أن الدين يستطيع أن يعطي السياسة أخلاقية من حيث يعطي الإنسان الذي يمارسه هذه الأخلاقية ويستطيع أن يعطي المادة روحية بحيث تتروحن المادة في حركتها في داخل الإنسان وفي خارجه . لذلك لن يكون هناك شيء اسمه مادة ولن يكون هناك شيء اسمه روح ولن يكون هذا اللغو الذي درجنا عليه وهو أن هناك مقامات روحية وهناك مقامات دنيوية أو مادية أو ما إلى ذلك .

المقام الروحي مادة تحمل شيئاً من الروح والمقام الديني هو مادة تحمل في بعض أوضاعها أو انفعالاتها أو أحاسيسها شيئاً من الروح . ليس الروح شيئاً معلقاً في الهواء يلتقطه علماء الدين من مسلمين ومسيحيين ويهود ولا يستطيع الآخرون التقاطه . هو معنى أن تعيش أنت هذه القيم وهذه المفاهيم وهذه الأجواء في وعيك وفي حسك وفي حركتك في الحياة . ولكننا حاولنا في حياتنا أن نبتدع أصناماً ، صنم المادة وصنم الروح وعلبنا هذا الصنم ، قلنا لجماعة إنكم جماعة المادة الدنيا إذن حاولوا أن تمارسوا حياتكم بشكل طبيعي في كل الحياة الدنيا ، أما أنتم فإنكم جماعة الروح لذلك سبّحوا وقَدّسوا وهَلَّلُوا ولكن إياكم أن تتحدثوا أيّ حديث خارج ذلك .

إننا بهذا الواقع نزيّف إنسانيتنا ، نزيّف إنسانية إنسان بأن نسقط عنه

الحقوق المدنية، ونزيّف إنسانية إنسان بأن نسقط عنه الانفتاحات الروحية. من نصب أهدنا ديّاناً على الآخر في هذا المجال ؟ .

قلت إنّنا نريد أن نثير المسألة الروحية في مصطلح الناس في قضايا الروح (الأشخاص الروحيين) أو ما إلى ذلك، حتى نستطيع أن نكتشف من خلال عمق الإحساس هنا والإحساس هناك والفكر هنا والفكر هناك، حتى نستطيع أن نكتشف أننا نستطيع أن نتوحد بالله بدلاً من أن نختلف على الله أو باسم الله وأنا نستطيع أن نتوحد بالأنبياء بدلاً من أن نحارب بعضنا باسم الأنبياء، لا أقول ذلك شعاراً لكني أقوله كحقيقة للحياة نحتاج إلى أن نتحرك في داخلها لنعرف كيف ننظمها وكيف نبرمجها وكيف نحركها في اتجاه وحدة الإنسان أو في اتجاه انفتاح إنسانية الإنسان على الآخر.

الدين لا يُصادر

❁ أيها الأحبة

ربّما يحاول بعض الناس أن يصادر الدين حتى لا يعكر صفو الحياة ولكن التجربة دلت على أن الدين لا يصادر . التجربة في الاتحاد السوفياتي دلت على ذلك والتجربة حتى في الملحدّين الذين يلحدون فكراً من ناحية علمية أو غير علمية، عندما يعيشون حركة في بعض مواقع حياتهم فإنك تشعر أن الدين يمثل الرواسب التي تستيقظ بشكل لا شعوري .

لذلك لن نستطيع أن نلغيه وسيفرض علينا نفسه من خلال ما نحاول أن نعقّنه عندما نجسسه في الزوايا ونمنعه من أن يتنفس في الهواء الطلق، إنّه بالتعفن الذي يأخذه من خلال الجهل ومن خلال التخلف ومن خلال أية حالة من مثل هذه الحالات يبقى يربك حياتنا. عندما يتنفس الدين بالهواء الطلق وتنفس عقلياً وقلبياً وحركياً معه فإننا نستطيع أن نقوم بعمل يمكن أن يتوحد الإنسان من خلاله أو يمكن أن يقترب الإنسان من الإنسان من خلاله.

لذلك أن نبحت هو خيارنا الوحيد، أن نهرب منه هي تماماً كما يهرب الإنسان من المشكلة، أن لا تستطيع أن تحل المشكلة فتحاول أن تهرب منها إلى الأمام أو إلى الوراء.

من خلال ذلك أتصوّر أن مثل هذه الأحاديث لا تبتعد عن حاجتنا الحياتية وعن حاجتنا الفكرية أيضاً. ثم في حديثنا عن السيّد المسيح (ع) نحاول أن نعطي بعض الملامح والمواقف من خلال الصورة الإسلامية. وأحب أن نطلق هذه الأفكار من وجهة نظر إسلامية أو من وجهة نظر مسيحية حتى نستطيع أن نخرج من هذا الضباب الديني الذي نعيشه في المناطق الخفية في شخصياتنا.

المسألة هي أنّ هذا الفريق لا يعرف كيف يفكر الفريق الآخر في ما يتصل بمقدساته وذاك الفريق لا يعرف كيف يفكر الفريق الآخر. ومن هنا تنشأ الخيالات والأوهام وتتحرك الانفعالات ويشعر كل إنسان بأنه يعيش

مع الآخر معنى الإلغاء ومعنى القهر ومعنى السقوط .

ولذلك فهذا اللون لعدم فهم أي إنسان للآخر هو الذي يفسح المجال للذين يستفيدون من حالة عدم الفهم ويحركونها سياسياً واجتماعياً وأمنياً وما إلى ذلك ممّا يمكن أن يلعب فيه اللاعبون . لذلك أن ينطلق الفكر الديني من دون حساسيات ، أن ندرسه موضوعياً كما ندرس أية فكرة لا علاقة لها بالدين ، فكرة في الفلسفة ، فكرة في الجغرافيا ، فكرة في الرياضيات في أي شيء ، عند ذلك يمكن من هذه الإضاءات التي يضيئها كل فريق في ما يفكر به للآخر يمكن أن تشرق روح المحبة ويشرق نور الوحدة في النفوس ويمكن أن تتقارب الأفكار في هذا المجال .

❁ أيها الأحبة

لماذا نحن نعيش في حياتنا في لبنان هذا النوع من عدم الثقة بالآخر ، هذا الذي نسميه حتى أصبح مصطلحاً سياسياً ، هذا الخوف الذي نتبادله ليكون مسيحياً تارة من المسلم ، وليكون إسلامياً تارة من قبل المسيحي ، لماذا ؟ .

إن المسألة هي المناطق الخفية فينا . كل منا يملك منطقة خفية يخافها الآخر ولكننا بإحساسنا نخاف من كل المغاور والكهوف فكيف إذا كانت المغاور والكهوف إنسانية . في حديث للنبي (ص) يقول : «لو تكاشفتُم لما تدافستُم» ، لأن الإنسان ينطلق من المنطقة الخفية .

الصورة القرآنية للسيد المسيح (ع)

لهذا قد يثار الآن بعض الحديث ونحن في أجواء ميلاد السيد المسيح (ع)، الذي نولد معه، ونولد مع كل رسول ومع كل رسالة تحقق إنسانيتنا وتؤكددها وتفتح بنا على الحياة كلها. ما هي الصورة القرآنية لشخصية السيد المسيح (ع)؟ .

هناك عدة مفردات في ملامح هذه الصورة.

تحدث القرآن عن السيد المسيح (ع) أنه عبدالله، وأنه رسول الله، وأنه روح من الله، وأنه كلمة الله، وأنه الغلام الزكي، وأنه المبارك. تحدث عنه بهذه الطريقة في الإيجابيات وتحدث عنه أنه البرّ وأنه ليس الجبار وليس الشقي وأنه الإنسان الذي يفتح على السلام حتى يريد أن تكون ذاته كلها في مراحلها سلاماً. تحدث عنه بهذه الطريقة. وأراد من خلال هذا الحديث، في هذه المفردات، أراد أن يؤكد بشريته وإنسانيته وأنه بهذه الإنسانية استطاع أن يرتفع إلى الله، وبهذه العبودية لله استطاع أن يفتح على الحرية في الحياة وأنه بهذا الإحساس العاطفي بالبر استطاع أن يفتح على إنسانية الإنسان في الحياة.

كلمات تختصر حياته.

هناك نقطة أولى في مسألة ولادة السيد المسيح (ع) في النص القرآني وهي أن السيد المسيح (ع) وُلِدَ من روح الله، وعندما نتحدث عن

هذه الكلمة فنحن لا نفهم منها أن هناك جزءاً إلهياً من الله حلّ في جسده لتكون هناك اثنيّية بين ما هي البشرية وبين ما هي الإلهية. ولكننا نفهم من هذه الكلمة، من خلال كلمة أخرى مماثلة في موقع آخر مشابه، موقع عيسى (ع)؛ وهي الكلمة التي وردت في خلق آدم ﴿إني خالق بشراً من طين فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾. ليس معنى ذلك أن الله نفخ فيه من روحه بمعنى أعطاه جزءاً من روحه. الروح لا تتجزأ؛ روح الإنسان لا تتجزأ فكيف هي روح الله. لكن باعتبار أن القدرة التي هي حركية الموجود في ما ينتج تنطلق من روحه التي تعني معنى حيوية الحياة وحركية الحياة في الذات؛ فإن المسألة تكون أن الله نفخ فيه من قدرته، وإنما تحدث عن القدرة هنا ولم يتحدث بشكل مباشر عن القدرة في خلق الإنسان بالطريقة الطبيعية التي يولد فيها الإنسان باعتبار أنه المظهر الغير المألوف للوجود الإنساني. ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾. هناك في التفكير الديني، هناك ثلاثة نماذج لوجود الإنسان: إنسان بدون أم وأب، وإنسان بدون أب، وإنسان من أم وأب.

وإذا كان الناس يعتبرون أن هذه مسألة غير علمية، هذه الفرضية قد لا تكون علمية باعتبار أننا لم نخضعها للتجربة الحسية، ولكنها عندما نريد أن نتحدث عن العقل هل يستبعد ذلك أو لا يستبعد؟ نحن نعرف حتى خلق الإنسان بهذه الطريقة المألوفة ما هو مدى عقلانيتها لو أردنا أن نبعد المسألة عن قدرة الله سبحانه. نقول إنّ الإنسان يولد طبيعياً من

خلال النطفة التي تحمل سر الحياة، ولكن من الذي أعطى النطفة سرّ الحياة ؟ لماذا هذه النطفة تعطي سرّ الحياة ونطفة أخرى لا تعطي سرّ الحياة، أو أي شيء آخر من إفرازات الإنسان لا يعطي شيئاً ؟ الله هو الذي خلق هذا، وإذا كان الله خلق سرّ الحياة هنا فهو قادر أن يخلق سرّ الحياة بأية طريقة كما أعطى نفخة من روحه للطين فكان إنساناً فهو قادر أن يعطي نفخة من روحه في جوف مريم العذراء ليكون هناك إنسان. ﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾. الفكرة هي هذه: إن السيّدة مريم العذراء (ع) بقيت في طهارتها لم يمسّها بشر. هذا هو النصّ القرآني، وإن عيسى (ع) خُلِقَ من خلال وضع غيبي عبّر عنه القرآن فنفخنا فيه من روحنا وما إلى ذلك من كلمات، حتى مسألة كلمة الله إنها كانت تعبيراً عن عيسى (ع) باعتبار أنّه جاء بالكلمة، لم يجرى بطريقة طبيعية بحيث يستغرق الناس من خلال الجو الطبيعي بحيث ينسون مسألة الكلمة في عمق الوجود، لذلك قال إنّ كلمة الله ؛ لأنّه وُلِدَ بكلمة الله، ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

وهكذا يتحدث النصّ القرآني أن عيسى (ع) تكلم في المهد وكان كلامه دفاعاً عن طهارة أمه، لأنهم عندما استقبلوها وهي حامل واجهوها بالنظرات الحادة والكلمات الغير مسؤولة، عندما قالوا لها ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبياً﴾، وهنا كانت المفاجأة: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب

وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً» .

في معنى العبودية لله

هذه الآيات تمثل اختصاراً لكل شخصية السيد المسيح (ع) في ذاته وفي دوره وفي حركته وفي الخطوط العامة لبرنامجها في الحياة. هو عبد الله، والعبودية لله في المفهوم الديني تعني أن الإنسان عبد لله من حيث هو مخلوق لله، ليس عبداً تسقط إنسانيته أمام سيّده ولكنه عبد تفتح إنسانيته ويشعر بالقوة وبالانفتاح وبالحركة من خلال التزامه بسيّده ومن خلال استمداده القوة من سيّده.

لذلك مفهوم العبودية لله في المسألة الدينية لا يمكن أن تسيء إلى العمق النفسي للإنسان في إحساسه بالحرية. بعض الناس يفكرون بهذه الطريقة، يقولون: إن الإنسان عندما يحاول أن يستسلم لله: «إنا لله وإنا إليه راجعون لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...»، إن الإنسان عندما يستسلم لله فإن هذا يترك عمقاً في شخصيته الإنسانية ليتكوّن في داخله إنسان خاضع قدرّي لا يملك أي إحياء لنفسه بالقوة؛ لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول لي ولا قوة، أنا الإنسان الضعيف المنهار الذي لا أملك أي شيء. أو «إنا لله»، أنا لا أملك نفسي، الله يملكني. بعض الناس يتحدث أن سرّ تخلّف الشعوب الشرقية أو الشعوب العربية هي

هذه الحالة الاستسلامية التي يحاول الإنسان أن يخترنها في داخل نفسه من خلال هذه المفاهيم الدينية. ولكن الواقع أن بعض الناس يتصوّرون هذه المسائل تماماً كما لو كان الله شخصاً آخر مثلهم.

نحن الآن لو أردنا أن نفهم «لا حول ولا قوة إلا بالله»، إن هذه الكلمة تفسّر أنني الإنسان الذي أملك حركتي في الحياة، إني استمدت هذه الحركة في ما تعبّر عنه كلمة الحول والقوة، استمدتها من الله. ما هو البديل؟ أنت أيها الإنسان الذي تريد أن تكون قوياً، تحررت من الله، من فكرة الله، إنك لا بد أن تلجأ، إن حولك وقوتك يخضعان للعناصر الذاتية في أجهزة جسدك، إن معنى ذلك أن حولك وقوتك تخضعان للظروف التي تحيط بك والتي تقويك تارة وتضعفك أخرى؛ للعواصف، للزلازل، للبرق، لطبيعة المناخ، للغذاء، معناه هل تملك أنت - كإنسان - أن تتحرر من جسدك؟ أن تتحرر من أرضك، أن تتحرر من الهواء الذي تتنفس، من الماء الذي تشرب؟ إذا القصة هي أن نقطة ضعفك هي شيء أساسي في وجودك من خلال حاجتك لكل جهاز من أجهزة جسدك وحاجتك لكل ما يحيط بك في النظام الكوني، بدل أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، تقول: لا حول ولا قوة إلا بمقدار ما يمنحني إياه نظام الأجهزة في جسدي ونظام الأغذية من حولي والنظام الكوني في الشمس والهواء والماء وغير ذلك. لو كنت تخرج من حول الله وقوته ليكون لك حولك الذاتي الذي تستمد منه كيائك ولتكون لك قوتك الذاتية التي تنتجها أنت بعيداً عن جسدك بعيداً عن كل ما حولك ومن

حولك، عند ذلك تكون المسألة معقولة .

لكن إن مسألة التزامك بالله، واستسلامك لله هي قضية تتصل بوجودك، أنت تسميها الله وبعض الناس يسمونها الطبيعة، هل يستطيع الإنسان أن يخرج من الطبيعة؟ من طبيعة ما حوله أو وجوده؟ ليس كذلك.

لهذا نقول: إن مسألة أن يكون الإنسان عبداً لله في ما تعنيه عبوديته التي لم تأت من خارج ذاته من حيث هو مخلوق لله وعلى هذا الأساس فإن توحيد الله في هذا المجال يجعلك حراً أمام الناس كلهم وحرّاً أمام الحياة. أنت عبد لله وحر أمام الحياة، أنت عبد لله وحر أمام الإنسان كله. ولذلك نجد أن الإسلام عندما طرح مواقع اللقاء مع أهل الكتاب، طرح توحيد الله وطرح إلى جانب ذلك أن لا يكون الإنسان رباً للإنسان. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أن لا يكون الإنسان رباً للإنسان لأنه حرٌّ أمام أي إنسان مهما كان كبيراً.

ولذلك فإن عبوديتنا لله تؤكد إنسانيتنا كما تؤكد حرّيتنا أمام الكون كله لأننا نتكامل مع الكون. أنت خلق الله والكون خلق، لذلك أنت تتكامل مع الكون، أنت تتكامل مع الإنسان لأن أيّ إنسان أو أيّة ظاهرة كونية ليست شيئاً آخر غيرك، لأنها مخلوق الله، وأنت مخلوق الله والكون يتكامل مع بعضه البعض.

آتاني الكتاب، هي الرسالة والرسالة هنا يتحدث فيها عن عيسى (ع) أنه مصدق لما بين يديه من التوراة، أنه لم يأت من أجل أن يصنع رسالة جديدة، ولكنه جاء من أجل أن يصدق العناصر الأساسية الموجودة في الرسالة السابقة، ثم بعد ذلك على أساس أن يغير ما تجاوزه الزمن من حلول تلك الرسالة: ﴿ولاحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم﴾.

الرسالات .. مراحل لا إلغاء

إن الرسالة هنا لا تعني أن تتجمّد، ولكن يعطينا ذلك معنى هذا التابع في الرسالات، أن كل رسالة تعيش مرحلتها أيّاً كان حجم المرحلة، ثم تأتي رسالة أخرى لتغيّر ما تجاوزه المرحلة، ولتحلّ بعض ما حرّم أو لتحرم بعض ما أحلّ.

ولذلك فإن الرسالات لا تلغي بعضها، حتى أننا نقرأ في القرآن أنّ النبي جاء مصدقاً لما بين يديه، ويرتكز القرآن على أساس لا نفرّق بين أحد من رسله. فالإنسان المؤمن لا بد أن يعيش الإيمان بالرسول كلهم، ﴿آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت﴾، وهنا يتحدث المفسّرون عن كلمة المبارك ليعطوها معنى الانفتاح الفكري والانفتاح الحركي الإنساني للإنسان. يقولون: مباركاً نقاعاً للناس معلماً للخير، هذا هو الدور، نقاعاً للناس أن يشعر بأن نبوته وأن موقعه لا يجعلانه

يختزن في داخله ارتفاعاً على الإنسان الآخر، ولكنه يشعر أنه لا بد أن يعيش الانفتاح على الإنسان الآخر، الانفتاح على عقله، ليوّجه عقله للخير والانفتاح على حياته من أجل أن يحرك طاقاته على أساس ما يحققه للناس من خير.

﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً﴾. والصلاة والزكاة يمثلان الخطيئة، الخط الذي يفتح على الله من أجل أن يعيش الإنسان صفاء روحه وقلبه وعقله وحياته مع الله، ليتطهر من خلال الصلاة ليعود إنساناً صافياً في إنسانيته، صافياً في إحساساته وفي حركته في الحياة.

وهكذا نجد أن الكلمات الدينية تقول: «إن الصلاة معراج روح المؤمن إلى الله»، كما يقول القرآن: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، فبمقدار ما يفتح الإنسان على الله أكثر بمقدار ما يفتح على القضايا الأساسية من الخط المستقيم في الحياة أكثر.

أما الزكاة فهي الخط الآخر الذي يفتح فيه على مسألة العطاء الإنساني فيما يقدمه الإنسان من عطاء علمه أو من عطاء ماله أو من عطاء طاقته في كل المجالات التي يمكن أن يتحرك فيها في الحياة.

وهكذا نلتقي بعد ذلك بالعاطفة التي يعيشها تجاه والدته على أساس هذه العاطفة الإنسانية التي تُسمى بالبر، التي لا بد لأي إنسان أن يتحسّس فيها موقعه من والديه أو موقع والديه منه، باعتبار أن ذلك هو العمق العميق لإنسانيته، لأن الإنسان الذي لا يتحسّس والديه فيما قدّمه

له لا يمكن أن يتحسّس مع أي إنسان آخر في ما يقدم له .

ثم هذه النقطة التي ترتبط بالواقع كله ﴿ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ ، ذلك هو العنوان الذي يفتح على الحياة كلها من خلال كل حركة الصراع في الحياة . إن عيسى (ع) عندما أراد أن يُعلن في بداية حياته ويعلن في أولويات دوره ورسالته وفي ما يحاول أن يؤكد من طبيعة ملامحه الشخصية ، عندما يُعلن : إنني لست جباراً ، إنّ هذا يعني رفض الجبارة كلهم ، وعندما يقول : إنني لست شقياً ، معناه أنه يرفض الشقاوة كلها ويرفض الأشقياء كلهم ، على أساس أن قضية الحياة كلها أن لا يكون الإنسان جباراً في كل موارد الجبروت ، وأن لا يكون الإنسان شقياً في كل موارد الشقاوة ، لأن ذلك ينعكس سلباً على سلام الحياة وعلى تقدم الحياة وعلى إنسانية الإنسان في الحياة .

رفض الجبروت

ومن خلال ذلك نفهم أن هذه الكلمة عندما توحى برفض الجبروت من خلال رفض الالتزام بصفة الجبّار ، عندما توحى برفض الجبروت ، فإن معنى ذلك أنّها تمثل خطأ في حركة الإنسان في الحياة ، وتمثل هدفاً من أهداف حركة النبوات وحركة الرسالات في الحياة ، وتمثل معنى من معاني عمق تحسّس الدين بالمشكلة الإنسانية ، لأن مشكلة الإنسانية يمكن أن تختصرها كلمة الجبروت ، هذه التي ينطلق فيها إنسان ما أو جهة ما أو دولة ما أو جماعة ما ، تنطلق من أجل أن تلغي إنسانية الإنسان في

المسألة المالية وفي المسألة الثقافية وفي المسألة السياسية والاجتماعية والفردية وما إلى ذلك. إن قضية أن تكون جباراً هي قضية لا تحمل معنى أنك قوي فيما يحاول بعض الناس أن يوحوا في هذا التعبير، عندما يتحدثون في القاموس السياسي عن الجبارين الكبارين، كما كان يُتحدث عن أمريكا والاتحاد السوفياتي. إنهم يريدون أن يعطوا الكلمة معنى جبروت القوة ولكنها تعني في ذاتها جبروت الظلم وجبروت الاستغلال وجبروت القهر. هناك فرق بين أن تقول: إن فلاناً قوي بالغ القوة وأن تقول: إن فلاناً جبار في الأرض.

لذلك إن مسألة الجبروت هي مسألة الإنسان كلها، وقد تتمثل في الواقع العمالي وقد تتمثل في الواقع التجاري أو السياسي أو الأمني أو ما إلى ذلك. ومن خلال ذلك نفهم أن الدين أو النبي إذا كان يرفض الجبروت ويرفض أن يكون جباراً ليكون أكثر رفضاً أن يكون الآخر جباراً أيضاً في الأرض، فإن معنى ذلك أنه لا بد أن يتحرك في الواقع على أساس إسقاط الجبروت وعلى أساس إلغاء الجبروت من الأرض، لأن الأرض لا يمكن أن تعيش السلام عندما يأخذ الجبابة دورهم الكبير في هذا المجال.

الرفق والعنف..

ومن هنا نقول: إننا لا نستطيع من وجهة نظر واقعية وعملية، أن نحرك القيم السلبية المفروضة أو القيم الإيجابية المقبولة المتصلة بحياة

الإنسان وبحركته في الحياة من دون أن نفرض الدخول في ساحة الصراع، لأن معنى أن تُطلق الكلمات الفضفاضة من خلال المواقع الفوقية من دون أن تسمح لها أن تتحرك في الأرض، إن معنى ذلك أن نعيش خيال القيمة لا أن نعيش واقعية القيمة. إن معنى ذلك أننا نزهو بالقيمة، نحباها، ننتفسها ولكننا لا نعيشها. القيمة ليست شيئاً في الفكر، ليست شيئاً في الإحساس، القيمة شيء في الواقع، سواء سمّينا هذه القيمة قيمة دينية أو قيمة إنسانية. بعض الناس يتحدثون عن اللاعنف ويتحدثون عن السيد المسيح في مواقفه أنه موقع اللاعنف وأنه يرفض العنف وأنه نزل بمسألة اللاعنف إلى الدرجة التي يقول فيها: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر».

بعض الناس قد يتصوّرون هذه المسألة على هذا الشكل، وقد يستلذون ذلك وقد يرتاحون لذلك، لأن هذا يمنحهم القدرة على الاسترخاء أكثر من خلال ما يفكرون فيه من شرعية هذا الاسترخاء ولكن المسألة أن عيسى (ع) لم يقصد ذلك، أنك عندما يضربك الإنسان على خدك الأيمن فإن عليك أن تخضع وتعطيه خدك الأيسر ليضربك، ليست المسألة كذلك.

إذا كانت القضية قضية الرق فإن هذا يعني إلغاء إنسانيتك، إذا أردنا أن نأخذ المسألة بحرفيتها من خلال المعنى الحرفي للكلمة، فإن ذلك يكون إنكاراً لإنسانيتك، أن تسترخي إنسانيتك أمام عنف إنسان آخر لنسقط أمامه دون أن تعطى شرعية أن تواجهه، ليست المسألة كذلك،

إنها مسألة تحدث عن المستوى الذي ينبغي أن يرتفع إليه الإنسان في روحيته، بحيث يكون مستعداً في الحالات التي يرى فيها الحكمة والمصلحة إلى أن يدير خدّه الأيسر أن يفعل ذلك. هناك فرق بين أن تكون لك روحية العفو وبين أن تمارس هذا العفو بطريقة فعلية كيفما كان. نحن نحتاج إلى أن نعيش ارتفاع القيمة لهذا المستوى، ولكن حركة القيمة في مواجهة الآخر لا بد أن تكون مدروسة بالطريقة الدقيقة التي لا تجعل من القيمة ضد القيمة في إسقاط الإنسان. عندما تريد أن تمارس القيمة فلا بد أن تكون القيمة في حركة القيمة في التعليم الإسلامي، في القرآن الكريم، يقول: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ﴿وإن تعفوا أقرب للتقوى﴾، لك الحق في أن تكون لك الفرصة في أن تدافع عن نفسك وأنت تملك هذه الفرصة من موقع صاحب الحق، إذا عفوت فإن العفو يقربك إلى الله أكثر.

في بعض الكلمات الدينية المأثورة عن أحد أئمة أهل البيت (ع) وهو الإمام زين العابدين يقول: «وأما حق من ساءك فأن تعفو عنه فإن رأيت أن العفو عنه يضره انتصرت لنفسك». في كثير من الحالات أن تنحني لإنسان عندما يعتدي عليك، يساوي أن تشجعه أن يعتدي على غيرك، بينما إذا أخذت بحقك فإنك تخدمه، لأنك أعطيته درساً لا يكرر هذا البغي لغيرك.

لذلك عيسى (ع) لم يطلق هذه الكلمة بالبساطة التي نفهمها، كان يتكلم عن مستوى القيمة في وعي الإنسان لها، لا عن طبيعة الخطوط

العملية لحركة هذه القيمة في الواقع. ولهذا فإننا لا نفهم أن يكون هناك أي فكر يحمل القيمة للإنسان، سواء كان فكراً دينياً أو كان فكراً غير ديني، أن يتعد عن ساحة الصراع الحار عندما تفرض عليه الظروف الموضوعية الحادة أن يدخل في الصراع الحار. إن صراع الإنسان مع نفسه من أجل أن يبني نفسه ليس أقلّ قساوة من صراعه مع الآخر عندما تكون، ولكن أدوات الصراع مختلفة. المسألة هي عندما نريد أن نغيّر الرفق؛ اللاعنّف هو الأصل الذي ننطلق نحوه في الظروف التي تسجّم معه، أما عندما تكون المسألة أن الظروف تريد أن تلغي إنسانيتك، فإنه لا معنى للرفق في هذا المجال. العنف يكون رفقاً، تماماً كما هو مبضع الجراح الطبيب ونحن في جامعة متقدمة في الطب، الطبيب يستعمل كل الوسائل في سبيل أن يتفادى العملية الجراحية، لكنه يجرح المريض، يقطع رجله، يقطع أي عضو، يقلع عينه من أجل أن يحفظ حياته.

لذلك نحن استهلكنا مسألة اللاعنّف بالشكل الذي بدأنا نتحدث عنها كما يتحدث الشعراء في خيالاتهم الشعرية في المطلق. في الشعر نعيش أحلام اليقظة ونعيش أحلام الخيال ونقوم بجولة حول العالم، حول الجمال وحول كل ما يتصل به الخيال في الشعر، ولكننا عندما ننزل إلى الواقع نشعر أنها كانت مجرد حالات إحساس ومشاعر. بعض الشعراء عندما يتكلمون عن الحرية تشعر كما لو كانوا يتكلمون أن الجسد قيد، حريته تعيش في الخيال بحيث يعيش الإنسان بلا جسد، بلا أرض، بلا شيء حوله، إن هذا شيء جميل جداً، ولكن هذا الشيء جميل في

الخيال وليس جميلاً في الواقع، لأن الواقع عندما يتحدثك يشوّه إنسانيتك، يشوّه روحك، يشوّه حريتك، يشوّه حياتك.

إن القضية هي أن تتطلب في حياتك كيف تحمي جمال إنسانيتك لمن يريد أن يفرض التشويه والقبح على هذه الإنسانية، لذلك نحن عندما نريد أن نواجه واقع الجبروت في الأرض بقطع النظر عن التفاصيل، فإن المسألة لن تكون مجرد مواعظ مسجدية وكنسية، ولن تكون مجرد نصائح ووصايا، ولكن أن تحرك الموعدة لتكون إنساناً يتحدى الذي لا يتعظ عندما تتصل الموعدة بإنسانية إنسان، لتكون القيمة حياة تتحرك من أجل أن تواجه الذي يريد أن يمنع الحياة من الحركة.

علينا - أيها الأحبة - أن نكون واقعيين في هذه المسألة، واقعيين في حركة الحياة في أن نواجه القوى المضادة لإنسانية الإنسان بالطريقة التي نتعامل فيها بواقعية مع وسائل التحدي التي يفرضونها علينا، سواء كانت وسائل سياسية أو كانت وسائل أمنية وما إلى ذلك في حركة الواقع.

الدين والسياسة

ومن هنا فنحن لا نفهم ديناً لا يفتح على السياسة ولا نفهم سياسة لا تفتح على الدين. إن مسألة القيم الدينية هي قيم الحياة. كيف يمكن أن نتحدث عن عدل والعدل قيمة دينية كما هي قيمة إنسانية؟ كيف يمكن أن نتحدث عن عدل بدون سياسة؟ عدل الحكم كيف يكون، عدل الحاكم، عدل القانون، عدل الناس مع بعضهم البعض؟ إنها مسألة

تحتاج إلى أن تواجه الكثير من الأوضاع والألوان والصراعات حتى تستطيع أن تصل إليها.

الحرية في الإنسان أين تحدثنا عن هذه الحرية، في المسألة الفلسفية أو في المسألة السياسية أو الاجتماعية، هل يمكن أن تكون هناك حرية من دون حركية إنسانية في الواقع قد تلتقي بالسياسة طوراً وقد تلتقي بالاجتماع طوراً؟ لا يمكن على أي أساس أن ننطلق لنقول: إن الدين لا يفتح على السياسة. بعض الناس قد يقولون: إن هناك مفردات سياسية لا تتناسب مع الدين، إذا كانت المفردات السياسية لا تتناسب مع الدين، فهل تتناسب مع إنسانية الإنسان ومع أخلاقه؟ لو أردنا أن لا نكون متدينين، ألا نعمل على أن نكون إنسانيين، ألا نعمل على أن نكون أخلاقيين أياً كان فهمنا للأخلاق، أو أننا نفرق بين الأخلاق السياسية وبين الأخلاق الاجتماعية، فالأخلاق السياسية هي أخلاق لا مجال فيها للصدق ولا للأمانة ولا للعفة ولا غير ذلك، والأخلاق الاجتماعية لا بد أن تأخذ شيئاً من ذلك، أما أخلاق البيت فيمكن أن نطبق عليها كل ذلك.

هل نقسم القيمة بهذه الطريقة؟

استغلال الموقع

بعض الناس يقولون: إن هذه الهالة التي يملكها رجال الدين في المجتمع يمكن أن تجعلهم يستغلون موقعهم ليفرضوا على الناس، من

موقع الهالة لا من موقع القناعة، بعض ما يريدون، وبذلك يضغطون على الحياة بطريقة غير عقلانية، ولكن - أيها الأحبة - من ممّن يملك موقعاً في المجتمع لا يستغل موقعه في سبيل أن يضغط أكثر؟ هل مشكلتنا في الواقع السياسي هي مشكلة رجال الدين الذين يستغلون موقعهم من أجل تركيز موقف سياسي معيّن أو الضغط على موقع سياسي معيّن؟ أو المسألة أن الكثيرين ممّن يملكون المال وممّن يملكون النسب العريق وممّن يملكون الموقع الاجتماعي هم الذين يستغلون هذا في سبيل أن يتقدموا سياسياً؟ عندما كانت الانتخابات، والتي تعني أن تأتي بأناس يملكون وعي القانون وعي البلد وعي السياسة وعي الاقتصاد والاجتماع، لا أقول إنهم متخصصون بذلك، ولكن ما هي المناسبة أن ينطلق إنسان يملك مالاً لمجرد أنه يملك مالاً لينجح؟ أو ينطلق إنسان يملك نسباً عريقاً لمجرد أنه يملك هذا النسب لينجح؟ أليس هذا استغلال للموقع؟ ثم هناك كثير من الحالات التي يتحرك فيها بعض الناس من أجل أن يملكوا موقعاً متقدماً جداً في المجتمع لأنهم يملكون موقعاً اقتصادياً متقدماً في المجتمع.

المسألة هي مسألة الحكم أو المسؤولية، ليست هي ماذا تملك من المال، بل ماذا تملك من الرشد السياسي، وماذا تملك من المعرفة السياسية، وماذا تملك من واقع المجتمع. نحن لا نشير إلى أشخاص ولكننا نشير إلى ذهنية.

لذلك من لا تكون له أخلاقية موقعه فإنّه يحاول أن يستغل موقعه

لإضرار الناس سواء كان رجل دين أو سياسة أو اقتصاد. ومن يملك أخلاقية الموقع لا يمكن أن يسمح لنفسه أن يستغل أحداً، لأن أخلاقية تمنعه من ذلك. هذه هي المسألة.

❁ أيها الأجابة

إنّ علينا في هذه الأمور، أنا لا أريد أن أطرح أحكاماً عشوائية ولا أريد أن أتحدث بطريقة استهلاكية، لكن أقول: لقد ورثنا من طريقة الغرب في تعامله مع الدين مسلّمات انطلقت من تجربته، أنا لا أقول أن نرفض الغرب أو نرفض الشرق، أنا من الناس الذين يقولون: إن الفكر لا وطن له، وإن العلم لا وطن له وإن المبدأ لا وطن له، ولذلك كنت ولا أزال أخطيء الذين يتحدثون عن المبادئ المستوردة، أي معنى أن تكون هناك مبادئ مستوردة أو مبادئ مصدّرة، أو عن الذين يتكلمون في هذه الأيام بطريقة استهلاكية عن تصدير الثورة، هل تملك دولة أن تصدر ثورة لا عمق لها في وعي الشعب؟ الثورة تولد من عمق الجراح ولا يمكن أن تُستورد ولا تُصدر. إنني أريد أن أقول - أيها الأخوة والأخوات - إنّ هناك مسلّمات وبديهيات فكرية فرضت نفسها علينا لأننا اخترناها عندما كنا ضعفاء، اختزان الضعيف لما يقدّمه القوي. لماذا لا نحاول أن نوحى إلى أنفسنا بالقوة إذا لم نكن أقوياء، فنحاول أن نخربش بعض هذه المسلّمات بعلامة استفهام هنا وعلامة استفهام هناك وحوار هنا وحوار هناك؟.

❁ أيتها الأعبة

السيد المسيح (ع) في ملامحه وفي مواقفه وفي دوره وحركته في الحياة كان إنسان الله وكان إنسان الحياة المنفتح على الإنسان كله والمنفتح على الحياة كلها من خلال انفتاحه على الله، كان إنسان المحبة حتى أنه قال عن الله: إنه محبة.

السيد المسيح (ع) والنبي محمد (ص) عندما نفذ إليهما من خلال ملامحهما ومن خلال مواقفهما ومن خلال دورهما ومن خلال إنسانيتهما التي تخترنها هذه الملامح والمواقف والأدوار عند ذلك لن يكون هناك شيء بهذا العمق من الحقد وبهذا العمق من الخوف وبهذا الاستهلاك من اللغو فيما نتحدث فيه عن المسيحية والإسلام وعن المسيحيين والمسلمين وعن لبنان، كيف نلغي طائفية السياسة من النصوص وكيف نلغيها من النفوس، هذا اللغو يحتاج إلى فكر يفترسه، وهذا الاستهلاك يحتاج إلى عقل منتج يستطيع أن يحرك الحياة من أجل أن تنتج فكراً جديداً وسياسة جديدة وأمناً جديداً نفتح فيه على الله وعلى الإنسان وعلى الحياة، فلا نجد هناك مساحة تفصل الله عن الإنسان وتفصل الإنسان عن الله وتفصل الإنسان عن الحياة وعن كل شيء، كما لا نفرّق بين أحد من رسله. هذا هو التحدي ليس الشعار، هذا هو الموقف ليس الكلمة، أن نطلق من داخل أنفسنا، نغيّر في مفاهيمنا في طريقة وعينا للحياة، في طريقة وعينا للدور.

الطائفية عشائرية..

أبيها الأجابة ❁

إننا نتعفن في طائفتنا، والطائفيات ليست أدياناً، إنها عشائرية، نحن نعيش البداوة في مشاعرنا وفي أحاسيسنا، وإن كنا نأخذ بكل أسباب الحضارة، لأن البداوة هي أسلوب حياة وهي أسلوب تفكير وليست مجرد أخذ ببعض الأساليب والوسائل البدائية. إننا نعيش البداوة، ولكنها بداوة تفتقد قيم البداوة وتعيش تخلفها. هل لنا أن نخرج من ذلك؟ السيد المسيح في حضارته الروحية الإنسانية يريدنا أن ننفتح على ذلك، والنبي محمد في حضارته الروحية الإنسانية يريدنا أن ننفتح على ذلك. تعالوا لنكون روحاً تتجسد وجسداً يتروح حتى نفقد هذه الهوة بين المادة والروح وبين الإنسان وبين الدين.

والحمد لله رب العالمين.

أَسْئَلَةٌ وَأَجُوبَةٌ عَلَى هَامِشِ الْمَحَاضِرَةِ

الحوار بادئ ذي بدء

○ هل سوف تكون هناك مناظرات دينية بين المسيحيين والمسلمين تقرب دائماً بين المفهوم الصحيح للانفتاح على الديانتين ؟ .

● من الطبيعي إذا احترمنا ديننا وإنسانيتنا أن نتحاور دائماً . في البدء كان الحوار . الله حاور إبليس وحاوَر الملائكة . ويستطيع كل فريق ، سواء اعتبر الفريق الثاني إبليس أو ملكاً ، يستطيع أن يحاوره انطلاقاً من ديانتَه دون أن يتعد عن ديانتَه . نحن ندعو إلى حوار جدي بين الإسلام والمسيحية وبين المسلمين والمسيحيين على مستوى لبنان وعلى مستوى العالم كله حيث نستطيع أن نفتح على الإيمان بالله وعلى مواجهة الاستكبار العالمي كله .

القرآن هل هو الحجة ؟

○ إنكم تبررون معتقداتكم باللجوء إلى كلام القرآن الكريم وتفسيره ولكن لا تعودون إلى أصل المشكلة لمعرفة ما إذا كان هذا الكلام صحيحاً، فما الذي يؤكد مثلاً أن الدين الإسلامي هو صحيح وليس الدين المسيحي ؟ .

● سؤال صحيح . والقضية أن الدين الإسلامي والدين المسيحي أيضاً، على الأقل أنا أتحدث عن المسألة الإسلامية، إن الدين الإسلامي يقول: إنطلق في عقيدتك من موقع قناعتك، لا معنى لأن تعتقد بالقرآن لأنه على أي أساس اعتقدت بالقرآن، لا بد لك أن تؤمن بالله من طريق العقل وأن تؤمن بالنبي من طريق المعادلات العقلية وأن تؤمن بالقرآن من طريق العقل. ولذلك القرآن يقول: ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾، ونلاحظ، وقد تحدثت عن هذا أكثر من مرة، أن أسلوب الحوار في القرآن ينطلق على أساس أن يضع الشك في الإنسان، كن الشاك لتكون الإنسان المؤمن. إن أسلوب الحوار في العالم يقول: « رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب »، هناك ذاتية في أسلوب الحوار. رأيي صواب بنسبة ثمانين بالمئة وخطأ بنسبة عشرين بالمئة ورأيك خطأ بنسبة ثمانين بالمئة وصواب بنسبة عشرين بالمئة. أما القرآن يقول: ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ . هناك حقيقة، ربّما أكون مهتدياً أمامها وربّما أكون ضالاً، تعال إلى

الحوار لنكتشف أنا وأنت ونحن نقف على مستوى واحد، يمكن أن أكون أنا ضالاً وأنت مهتدياً ويمكن أن أكون أنا مهتدياً وأنت ضالاً، تعال نتحاور، ليست هناك ذاتية في الحوار.

إنني معك أن علينا عندما نريد أن نؤمن بأي دين أو بأي فكر سياسي أو فلسفي أو أي شيء لا بد أن تنطلق القناعة من خلال العقل ومن خلال الحوار، ونحن لا نؤمن بإيمان فوق العقل، بل نعتبر أن العقل لا بد أن يكون أساساً للإيمان في قاعدته.

الحوار.. وحكم الإسلام

○ تحدثتم عن الحوار بين الإسلام وأهل الكتاب على أساس أن لا يكون الإنسان عبداً لإنسان آخر أي على أساس العبودية لله الواحد، فكيف يتوافق هذا مع الآية: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ وتفسيرها هو الحكم الإسلامي المنطلق من شريعة الرسول ألا وهي الإسلام؟.

● هناك: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون، وليحكم أهل التوراة بما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، وليحكم أيضاً أهل القرآن..

إذاً ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله...﴾ القضية هي أن المؤمن

عندما يؤمن بالله ويؤمن بما أنزل الله فمن الطبيعي أن يحكم بما أنزل الله من خلال قناعته بما أنزل الله، أما إذا لم يحكم بما أنزل الله وهو يخترن الإيمان فهو كافر، ومعنى الكفر أنه جاحد لا يؤمن، وهذه مسألة واقعية وطبيعية. أنت عندما لا تلتزم قانونك فمعنى ذلك أنك كافر بهذا القانون وأنت لا تؤمن به. لذلك هذا لا يتنافى مع المسألة، حتى أنت المسيحي أو أنت اليهودي أو أنت الشيوعي أو أنت القومي أو أي شخص آخر، إنك تقول لرفيقتك أو لأي إنسان: من لم يحكم بهذا القانون أو بهذه المفاهيم أو بهذه المبادئ فإنه كافر بها أي جاحد بها. كلمة الكفر ليست من الكلمات التي تثير الحساسية دائماً. بعض الناس مشكلته أنه يقول: أنا ملحد ولكن لو قلت له إنه كافر فإنه يتأذى ويتعقد. لماذا؟! معنى ملحد أنك تكفر بالله والكفر مسألة نسبية، تارة أنا أكفر بك، تارة أكفر بهذا الخط السياسي، تارة أكفر بالله، تارة أكفر بالرسول، مسألة الكفر هي مسألة نسبية، ولذا علينا أن نتقبلها بذهنية علمية لكل حالة جحود لأي موضوع من الموضوعات.

الإسلام والعلمنة

○ هل الإسلام قابل للعلمنة؟ في حال النفي، هل يستطيع المسلمون التعايش مع طوائف أخرى مع احترام حرية هذه الطوائف؟

● العلمنة ترتكز على قاعدة تعني أن الدين لا دخل له في التقنين وفي التشريع وفي السياسة، لا نقول: إن العلمنة ترفض الدين. العلمنة

تنطلق من اعتبار الدين حالة جانبية وهامشية في حركة الحياة، أما الدين فهو يعتبر أنه يمثل قاعدة أساسية في حركة الإنسان. ولذلك هناك فرق فكري بين القاعدة التي ينطلق منها الدين والقاعدة التي تنطلق منها العلمنة. أنا لا أقول: إن العلمنة إلحاد، ليست كذلك، لكن العلمنة لا تنطلق من فكر ديني، بينما الدين ينطلق من قاعدة دينية. فلذا من الصعب جداً أن نجتمع بين العلمنة بمعناها الفكري والدين بمعناه الفكري، عندما يُراد لهما أن يجزّيا حظهما في الحياة وأن ينطلقا في الحياة.

أما أن المسلمين يتعايشون مع طوائف أخرى، إن المسلمين منذ أربعة عشر قرناً وهم يتعايشون مع طوائف أخرى. عندما ندرس كل تاريخ المنطقة الإسلامية نجد أن هذه المنطقة يوجد فيها مسيحيون كثيرون ويوجد فيها يهود كثيرون ويوجد فيها آشوريون كثيرون، يوجد فيها كل هؤلاء، وإذا كان الناس يتحدثون عن اضطهاد في التاريخ فإن المسلمين اضطهد بعضهم بعضاً والمسيحيين اضطهد بعضهم بعضاً، ولذلك فإن المسألة لم تكن في حالات الاضطهاد والتخلف، لم تكن مسألة اضطهاد المسلمين للمسيحيين، ولكنها كانت الحالات التاريخية القلقة التي كان يعيشها الناس على أساس بعض الأوضاع الطارئة في حياتهم.

ألوهية السيد المسيح..

○ هل يعترف الإسلام باللهية السيد المسيح وماذا يعني بالآية القرآنية: ﴿وَاتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ؟ .

● طبعاً الإسلام لا يعترف بالهية السيّد المسيح في أكثر من آية ويؤكدّها في أكثر من أسلوب. في بعض الآيات: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ إلى آخر ما هناك، لا نريد أن ندخل في هذا الموضوع.

أما هذه الآية آتينا عيسى البيّنات للدلائل التي تدلّ على نبوّته والتي تدلّ على صدقه، أيّدناه بروح القدس. روح القدس تكرر في القرآن، المقصود به هو هذا الروح الذي يؤيد الإنسان ويلطف به، وهذا موجود بالنسبة إلى عيسى وبالنسبة إلى بقية الأنبياء. لهذا لا يعطي معنى فيما هي الألوهية.

الموقف من القديسين

○ ما هو موقف الإسلام من القديسين عند الطوائف المسيحية؟

● من الطبيعي أن قضية أن يكون الإنسان قديساً أو لا يكون هي قضية نسبية تختلف فيها حتى بالنسبة إلى المسيحيين، ربما يعتبرون بعض الأشخاص قديسين، وحتى المسلمون لأن المسلمين يعتبرون بعض الأشخاص أولياء ومقدسين، وبعضهم لا يعتبرهم كذلك. هذه مسألة نسبية تختلف حسب اختلاف الاتجاه الذي يحمله الإنسان أو يعيشه الإنسان تجاه قداسة إنسان أو عدم قداسته.

استقطاب المسيحية !؟

○ ألا يمكن أن نعتبر أن القرآن يتكلم عن المسيح (ع) بهذه الكرامات ليستقطب المسيحية في مفاهيمها ؟ .

● إنَّ القرآن يتحدث أنَّه يؤمن بالكتاب كله وأنَّه يؤمن بالتوراة وبالإنجيل، ويتحدث في كثير من آياته أنَّنا كتبنا عليهم في التوراة كذا وكتبنا في الإنجيل كذا، ويتحدث عن المسألة أنَّه لا يريد أن يستقطب المسيحية لمفاهيمها، ولكن يريد أن يؤكد أن مفاهيمه تتفق مع الكثير من مفاهيم المسيحية كما تتفق مع بعض مفاهيم اليهودية، لأننا نفرق بين اليهودية كدين وبين إسرائيل. اليهود هم أهل كتاب ولكن إسرائيل يهود ظلموا. كما لو أن المسلمين ظلموا، لو أن النصارى ظلموا، تلك قضية أخرى لا ترتبط بمسألة الاختلاف الديني، ولذلك فإنَّ اختلافنا الآن مع إسرائيل لا يُعتبر اختلافاً دينياً، حتى الاختلاف الذي نعيشه ونمارسه الآن في لبنان ليس اختلافاً دينياً، إنما هو اختلاف طائفي، والطائفية - كما قلنا أكثر من مرّة - هي حالة بشرية تختزن في داخلها الذهنية العشائرية .

هناك عشيرة المسلمين، عشيرة الشيعة، عشيرة السنّة، عشيرة الموارنة ولو نفذت إلى كل هؤلاء الطائفيين هذا الذي ينادي بحقوق طائفته لرأيت أنه لا يؤمن بالله كلية ولا برسول الله ولا بالسيد المسيح . إنهم ليسوا مسيحيين وليسوا مسلمين بالمعنى الفكري للإسلام والمسيحية،

إنهم من عشيرة الإسلام ومن عشيرة المسيحية .

دائماً كنت أقول: إن لدى المسلمين والمسيحيين، هذا لديه طبل إسلامي، وذلك لديه طبل مسيحي، هذا يدق على الطبل ليستمع الناس دون أن يفهموا ماذا هناك، وذاك يدق على الطبل ليستمع الناس من دون أن يفهموا. هناك هواء مضغوط متعفن أو غير متعفن، ولكن ليس هناك فكر وقيمة وقداسة فيما يتحركون.

هل مات السيد المسيح (ع) ؟

○ من المتفق عليه لدى غالبية المحدثين أن المسيح لم يموت، فكيف يكون تفسير الآيات التالية: ﴿سلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ ؟ .

● هو يقول ﴿يوم أموت﴾، لكن متى مات هو لا يحدد، يتحدث عن المستقبل. ربّما بعض المسلمين يقولون إن الله رفعه وسيرجع إلى الأرض في آخر الزمان وعلى كلّ المشكلة مرحلة بين المسلمين وبين المسيحيين لو فرضنا أردنا أن نثير الخلاف في هذا الموضوع. المسيحيون يقولون إن السيّد المسيح (ع) قد مات ثم قام. بعد أن قام أين ذهب ؟ رفعه الله إليه. المسلمون يقولون إنّه لم يموت، وهناك بعض المسلمين الذين يقولون إنّه مات ميتة طبيعية ورفع الله إليه بطريقة طبيعية، هناك رأي إسلامي يقول هذا وهو الشيخ محمود شلتوت الذي كان شيخ

الأزهر سابقاً، هناك رأي يقول ذلك، ولكن على الرأي الشائع، المهم أننا متفقون أن الله رفعه إليه. فلماذا نختلف سواء رفعه إليه بعد أن مات وقام، أم رفعه إليه دون أن يموت، فتلك المرحلة انتهت. لتتفق الآن أن المسيح موجود عند الله وأن الله رفعه إليه وأنا نقدر السيد المسيح جميعاً، أنا أقدس بطريقتي وأنت تقدسه بطريقة لكننا نتفق عليه، لماذا نركز على مواقع الفراق ولا نركز على مواقع اللقاء؟.

بدء الحياة وخلق آدم

○ يصور لنا القرآن الكريم أن الله سبحانه خلق آدم (ع) من طين ونفخ فيه من روحه. بينما العلم الحديث يبحث عن أصل وجود الحياة والإنسان على الأرض فيصلون إلى النتيجة أن الحياة ابتدأت من خلال خلية فأخذت تنمو وتتطور وغيرها من النظريات؟.

● المسألة: الحياة انطلقت من خلية كيف وجدت هذه الخلية؟ إن الإسلام لا يمانع من أن الإنسان عندما يعيش في هذه الحياة بطريقة التوالد يخضع لنظام الخلايا أو ما إلى ذلك. ولكن المسألة كيف ولدت هذه الخلية؟ وكيف انطلقت؟ هذا السؤال الذي لم يجب عليه أحد. نحن نقول من الذي أعطى سرّ الحياة والنمو للخلية ومن الذي أعطى سرّ الحياة للنطفة، إن الحديث عن الله ينطلق من هنا.

هناك فكرة أحب أن نتبّه إليها وهي أن بعض الناس يمكن أن

يفكروا أن قضية الدين تختصر كل العلم، كيف صارت الدنيا؟ الله خلقها، كيف ينزل المطر؟ الله أنزله، كيف تفجّرت الينابيع؟ الله فجّرها، كيف صار كذا؟ الله، كيف تحرك التاريخ؟ الله حرّكه. وأنا قرأت في الجانب لشخصية في الجامعة الأميركية؛ نحترمها وهو الدكتور قسطنطين زريق في كتابه «نحن والتاريخ»، استغربت حقيقة هذا الموضوع، كان عندي كتاب كتبه منذ ثلاثين سنة وكان فيه رد على الدكتور زريق في وقتها، فيقول: إنه إذا أردنا أن نأتي إلى التاريخ الديني فلا نحتاج إلى نظريات علم التاريخ ولا كذا؛ لأن التاريخ كيف تطوّر فالله سوى التاريخ هكذا. وانتهت المسألة.

الواقع ليس كذلك، الدين يؤمن بقانون السببية، ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، حتى الإنسان هو الذي يصنع قضاءه وقدره. ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾، ﴿ما كان الله مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾، ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾.

فالمسألة في هذا المجال هي أن الدين يؤمن بقانون السببية، ولذلك يمكن للإنسان المتديّن والإنسان المادي أن يجلس أمام المختبر ليفسّر هذا وذاك الظاهرة بسببها الطبيعي. ولكن ما خلف السبب؟ هناك مسبب الأسباب. المادي يقول: أنا لا أتكلّم في ما وراء ذلك، الديني يقول: هناك مسبب الأسباب، وإلاّ يمكن لك أن تفسّر كل شيء تفسيراً علمياً بدون أن تسيء إلى دينك أبداً ويمكن أن تكون إنساناً

متديناً وتنطلق على هذا الأساس .

حتى أن بعض المفكرين الإسلاميين يقولون: إن نظرية دارون لا تناقض التفكير الديني ولكن تناقض التاريخ الديني . في التفكير الديني ليس هناك مانع أن الله كما خلق نظام التطور بالنسبة إلى النطفة (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وأن الإنسان أصل وليس فرعاً عن مخلوق آخر)، لذلك أحب أن ننتبه إلى هذه النقطة، إن مسألة قانون السببية هو قانون لا يتعد عن التفكير الديني في هذا المجال .

هل المسيحيون كفّار ؟

○ لقد سألتكم لماذا المسيحيون يخافون من الإسلام ؟ ولكن قد نسيتم أن هناك فرقاً بيننا وبينكم فأنتم تقولون: إن المسيح إنسان فقط، أما نحن فنقول: إنه الله المتجسّد، وبذلك نصبح بالنسبة لكم كفّاراً، والكافر في الإسلام يجب أن يموت .

● الواقع ليس كذلك . هناك نقطة: إذا كانت مسألة التكفير بهذه الطريقة فتبادر للتكفير، لأن المسيحيين أيضاً عندما يقولون: إننا الآن عندما لا نقول إن الله هو متجسّد بالمسيح فنحن كافرون بالسيد المسيح كما أن المسيحيين كافرون بالنبي محمد (ص) أو بالإسلام، الكفر مسألة نسبية لا تتراشق فيها . ولذلك بالنسبة للإسلام، أحترم وجود المسيحيين واحترم وجود اليهود في العالم الإسلامي . أما قضية، أن يكون هناك

بعض التنظيمات في داخل الإسلام أو في داخل المسيحية بالنسبة إلى جانب الارتداد، هذا طبعاً، لا تعتبر تنظيمات في الواقع الداخلي، ربما تتجاوز نتيجة بعض الظروف أو بعض الأوضاع الطارئة. فالقضية ليست كذلك، نحن الآن عندما نختلف مع المسيحيين حول شخصية السيد المسيح، نحن لا نشعر بأن هذا الاختلاف ينبغي أن يجعل عندنا روحاً عدوانية ضد الإنسان المسيحي، لا بالعكس، نحن نعتبر أن الإسلام عندما أكد موضوع أهل الكتاب: ﴿وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. ليست القضية بهذا الشكل، أعتقد أن طريقة هذه الخطوط الفكرية لا تزال تعيش من خلال الاستهلاك الإعلامي الذي استهلكناه؛ مسيحيين ضد المسلمين ومسلمين ضد المسيحيين. لذلك نقول: الحوار الهادئ العقلاني هو الذي يمكن أن يجعلنا نفهم القضايا بعمق أكثر أو بانفتاح أكثر.

الدولة الإسلامية

○ هل يستطيع المسيحيون العيش الكريم في ظل قيام دولة إسلامية في لبنان ؟ .

● الواقع أنه لا يوجد أية ظروف لقيام دولة إسلامية في لبنان، وليس هناك ظروف لقيام دولة ماركسية ولا دولة قومية أو مسيحية في لبنان. تُطرح مسألة الإسلام الدولة كما تطرح مسألة الماركسية في الدولة

أو القومية في الدولة، على أساس أن هناك فكراً يقول: إن الإسلام دين ودولة، حتى بعض الناس من المسلمين يفكرون بهذه الطريقة، ولكن هذه طروحات تنطلق من أجل الإيحاء بأن مسألة الإسلام ليست هي مسألة طائفية ذاتية، وإنما تمثل حالة فكرية من جهة وحالة مدنية من جهة أخرى، يمكن أن يقبلها بعض الناس أو يرفضها البعض الآخر، لكن نحن نعرف جميعاً أنه ليس هناك أية ظروف واقعية ولو بنسبة عشرة بالمئة لقيام دولة إسلامية في لبنان. لذلك عندما نتحاور فكرياً فليكن. لكن في الواقع نحن ندعو إلى دولة الإنسان في لبنان، أن لا يكون هناك للبناني أي صفة لا يكون إلا إنسانيته هي التي يكون له فيها الحق ويكون عليه فيها الحق. المسألة هي هذه، وأنا أزعم أنه - ولا أريد أن أدخل في جدل إلغاء الطائفية السياسية من النصوص أو من النفوس - لكن أنا أزعم بأنه ليس هناك لبناني لبناني، هناك ماروني يعتبر أن قيمة لبنان بمارونيته، هناك شيعي يعتبر أن قيمة لبنان بشيعيته، سني، أرثوذكسي أي شخص، المسألة هي: أنا أقول الطائفية السياسية قسّمت لبنان إلى ولايات غير متحدة، لأن كل طائفة الآن لها مجلسها الملي، من علماء الدين ومن السياسيين ومن المثقفين وكل واحد يقول: لا تتدخل في شؤون هذه الطائفة أو هذه المنطقة. الجنوب أصبح منطقة شيعية، الشمال أيضاً قسم منه منطقة سنية، قسم آخر منطقة مارونية، بيروت منطقة سنية، الجبل منطقة درزية، معناها أن كل واحد يختزن في ذاته أن هذه هي مملكته وأن عليهم أن يستشيروه في هذا المجال.

لهذا: إلغاء الطائفية السياسية قيمته أنه يعيد اللبنانيين إلى لبنانيتهم.

